

المقدمة:

تكونت منطقة الهندية من ترسبات نهر الفرات في وقت ساعدها تحول مجراه إلى منطقتها المحاطة بالمساحات المائية الواسعة، وبسواعد أقوامها في إدراكهم ووعيمهم ظهرت لبنات المدينة التي سرعان ما توسعت مساحاتها اليابسة لتظهر بحلة جديدة مع مدن العراق الأخرى في القرن التاسع عشر الميلادي التي وفرت للحكومة العثمانية مزيداً من الأموال الضريبية بعد تطبيق سياسة (تقويض الأرض) على أراضيها الزراعية. وعلى الرغم من صعوبة رسم الحدود الإدارية لمدينة الهندية وقت نشوئها وتحديد مؤسساتها فمن الممكن النظر إليها على إن تاريخها سلسلة متصلة من الإحداث والمعطيات التاريخية ي ظل وبعد تشظي الاتحادات العشائرية على محيطها وتشخيص مراحل سماتها الرئيسية في القيم الاجتماعية والمعتقدات الثقافية الذاتية وتطور قوتها الاقتصادية على مسرح التاريخ. سكن المدينة أناس هاجوا إليها من مناطق العراق المختلفة تعلموا وعلوموا النشاطات الاقتصادية التي ازدهرت بها المنطقة وعظمت حضارتها ومكانتها بين المدن الأخرى، متوافقة مع اسمها المحلي (طويريج) في شهرتها وسرعة نموها من خلال ظهور مجتمعها غير المتجانس اجتماعياً، تحقق فيها التفاعل الاقتصادي والاجتماعي والديني الهائل بين العشائر التي استقرت على محيطها عصب الكيان السياسي المركزي ونخب المجتمع المتحضر في شراكة سياسية واجتماعية بين مكوناتها، التي ظهرت فيه المدينة الحديثة، وفي اختيارنا لدراسة المدينة كانت اغلب الدراسات تتركز على الأحوال السياسية وعن بعض المدن الرئيسية (بغداد، الموصل والبصرة) في العهد العثماني، تاركة فراغاً كبيراً في دراسة التاريخ المحلي لمدنها الأخرى لما فيها من مجال واسع ومتكامل عن تاريخها وحضارتها ونقصاً ملحوظاً في المؤلفات التي تناولت عن بعد تاريخها تبعاً اعتمادت الدراسة في مصادرها على بعض الوقائع الإجمالية وأخرى محققة تفصيلية، وغالبها محن أدركناها وأمور شاهدها واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه المشيخة لتقيتها، فجمعت شملها وقيدت شواردها بالتحليل والتقصي في أوراق متسقة مربية على مراحل تاريخية اتخذت من تولية الولاية وحكم الملوك عنواناً ومدة لدراسة تاريخها الحضاري، كانت خير عون لانجاز متطلبات الدراسة وحقيقة وجودها.

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن الجذور الأولى لموضع المدينة.

تعد منطقة الهندية جزءاً من أرض السهل الرسوبي التي ظهرت بعد انحسار ترسبات نهري دجلة والفرات، والتي سميت بأرض أكد^(١)، نتيجة تراجع مياه الخليج العربي جنوباً بمعدل ميل ونصف من اليابس كل ثلاثين سنة، حيث دلت الأبحاث التاريخية والأثرية أن دلنا العراق تقدمت زهاء مائة وعشرين ميلاً نحو البحر خلال الخمس والعشرين قرناً الماضية، وبلغ معدل الدلتا نحو الجنوب ١٠٠ متر سنوياً فتقدم خط الساحل بمقدار ٥٠٠ كيلو متر في مدة تراوحت بين ٤٠٠٠-٥٠٠٠ سنة^(٢)، وأثبتت الدلائل الأثرية إن مدينة أور (UR) كان لها ميناء على البحر وهي الآن تبعد نحو ٣٠٠ كيلو متر عن الخليج العربي. كان المجرى القديم لنهر الفرات يجري إلى الشرق من بابل وعاد نحوها في العهد البابلي القديم (١٩٨٨-١٥٨٠ ق.م)، وفي عهد الإسكندر المقدوني (٣٣١-٣٢٣ ق.م) حفر نهراً يوازي الفرات غرباً لتصريف المياه الزائدة والفاضة إلى البرك والبحيرات باسم (بالاكوباس)^(٣) المار على حدود مدينة الهندية، وقد طمرت بعض أجزائه بسبب الإهمال والتخريب، إذ استقادت منه دولة (أوده الهندية)^(٤) على إعادة حفره في سنوات (١٧٩٣-١٧٩٧م) في عهد الوالي المملوكي سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢م) لإيصال المياه إلى مدينتي الكوفة والنجف، مؤرخة عملها الخيري بـ (صدقة جارية)^(٥)، مستفيدة من وادي النهر القديم (بالاكوباس) الذي كان جافاً ومطموراً في القرن الرابع عشر الميلادي حتى مدينة الكوفة^(٦). تدفقت المياه في القناة بصورة طبيعية بحدود عام ١٨٠٠م، وبقيت القناة في المدة ما بين عامي (١٨٦٥-١٨٩٠م) فرعا من نهر الفرات تأخذ القسم الأعظم من مياهه، مغيرة مجراه وأصبحت القناة المجرى الرئيسي لمياه الفرات منذ عام ١٨٨٠م مارة بحدود منطقة الهندية والتي اتخذت تسميتها من اسم (الهنود) ممولي المشروع، ووصف الرحالة (لجان) الذي شاهد نهر الفرات عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٦م، أن نهر فرات الهندية يجري في الجهة اليمنى من الفرات ويحمل نصف مياه فرات الحلة ويصل إلى مدينة النجف ويتصل بـ (بحر النجف)^(٧)، وأصبح طريقاً للمواصلات النهرية بين سائر مدن العراق وطريقاً نهرياً للقادمين من الهند لزيارة الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء، وتسلكه أيضاً السفن الكبيرة ذات حمولة ٥٠ طناً^(٨). أثر تدفق قناة الهندية سلباً على نهر فرات الحلة وأوشك على الجفاف عام ١٨٨٥م وقلت كثافة الاستيطان العشائري المستفيد من مياهه، وعمل سكان منطقة الحلة على حفر منخفضات في مجرى النهر كي تتجمع المياه الباطنية فيها بغية سد رمقهم من تلك المياه^(٩)، كما تسبب في نزوح أعداد كثيرة من العشائر التي تضررت أراضيها بسبب شحة مياه نهر فرات الحلة إلى مناطق أخرى ومن ضمن تلك المناطق منطقة الهندية. لم تشر المصادر الحديثة إلى وجود السكن أو الاستقرار في مدينة أو قسبة الهندية قبل حفر القناة ولم تعد امتداداً تاريخياً لمدينة قديمة وإنما كانت نشأتها حديثة، إذا ما استثنينا وجود بعض تلال الآثار القديمة التي تبعد عنها عدة كيلومترات شمالاً وتعود إلى العهد البابلي القديم قرب سدة الهندية وآثار أخرى في جنوبها قرب منطقة كريط والرشيده وغيرها مسجلة في سجلات مديرية آثار بابل^(١٠). ولدت مدينة الهندية بصورة عفوية بدون سابق تخطيط، إذ عندما جفت المياه عن الأراضي الشرقية لمركز الهندية التابعة إدارياً للحلة، واستخدم الأرض بعض الساكنين فيها في زراعة الرز في عهد الوالي المملوكي داود باشا (١٨١٧-١٨٣١م) والتي تعني الإقامة والاستقرار في تجمعات متقاربة، معززة بالانفتاح والحرية النسبية في السكن التي أطلقها الوالي مع مهنة الزراعة المستجدة في المنطقة^(١١). أطلق على التجمع السكني في المنطقة (قرية الهندية) ضم عدة بيوت بسيطة صممت من الخيام وملحقات سكن من سعف النخيل على شكل أكواخ صغيرة في منطقة (الطنبلي)^(١٢) على الجهة الشرقية من القناة، لارتفاع أرضها نسبياً عن باقي الأراضي الأخرى وتشغل مساحة نحو عشرة دونمات، سكانها غير متجانسين ومن جماعات مختلفة اجتماعياً وعشائرياً، شغلوا مساحات صغيرة كثيفة السكن، ثم أحاطت القرية بظهير زراعي تتخلله المستنقعات والأهوار في سكن العشائر المهاجرة (بني حسن، آل فتلة، جليحة، كريط وألبو موسى وغيرهم) من منطقة الديوانية (الحسكة) والمتضررة من

شحة مياه فرات الحلة^(١٣)، وعشائر أخرى من منطقة الحويزة (بني طرف، بني سالة، كنانة وكعب) المتأثرة سياسياً بترسيم الحدود بين إيران والدولة العثمانية عام ١٨٤٧م بموجب معاهدة ارضروم الثانية، واتصلت القرية شرقاً بمدينة الحلة بطريق ترابي كثيراً ما كان يقطع لوصول مياه قناة الهندية الفائضة إليه، حيث سميت المنطقة القريبة منها د(أبي غرق). ظهرت في القرية عدة وظائف عندما اختارت الحكومة العثمانية منطقتها لإقامة المقررات الحكومية في عهد الوالي نجيب باشا (١٨٤٢-١٨٤٨م) مستفيدة من موقعها بين مدينتي الحلة وكربلاء وسهولة الوصول إليها عن طريق قناة الهندية، حيث ساعدت تلك الإجراءات الحكومية على ميل الناس الى السكن حول مقراتها بوصفها حصن أو قلعة تتخذها الحكومة لحفظ الأمن والنظام^(١٤)، والذي مهد لهجرة أعداد كبيرة من العوائل الى المنطقة والاستقرار فيها عمرت القرية في عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م) ورفعت درجتها الإدارية الى قضاء من الدرجة الأولى عام ١٨٧٠م^(١٥)، وكثر البناء والسكن فيها من قبل رجال عشيرة زحاف التي كانت تعيش في ظل الأسرة الدينية القزوينية، وساهمت اسر كثيرة أخرى على ردم أو تجفيف المناطق المنخفضة والبرك الصغيرة في الجانب الغربي من القضاء بعد قص القصب والبردي منها، إذ ساعد هذا الإجراء على تزايد الهجرة إليها بهدف الحصول على أراضي سكنية وفرص العمل، الأمر الذي أضاف أعداداً كثيرة الى نفوسها، وساعد إنشاء الجسر الخشبي المشيد على إحدى وعشرون قارباً^(١٦)، على ربط جهتي المدينة ببعضهما، وبذلك أصبح القضاء يمثل تجمعاً حضرياً تجتمع حوله وترتبط به الأنماط العمرانية التي سيطرت على النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية والثقافية للمناطق التابعة لها، وازدهرت اقتصادياً بعد الهجرات العشائرية الى محيطها، واصبحت كذلك سوقاً تجارياً لظهير زراعي خصب محاط بنظام ري سيحي مكوناً القلب التجاري النابض في الفرات الأوسط ومركزاً مهماً لأسواقه الرئيسية في التجارة، وازدادت إليها عملية الزحف الوظيفي الحكومي والتجاري والخدمات البسيطة في التعليم الخاص والصحة وغيرها، واستقرت على أرضها في نهاية القرن التاسع عشر بعض اسر الجاليات الأجنبية (التركية، الإيرانية، الهندية والباكستانية). هاجرت إليها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر اسر ثرية من (السادة القزوينيين وآل جار الله وضيف الله وعنبر والملاي) ومن عشائر (الجبور والبيات والشيبانيين والدفاعية والجنايين والداينية والبراك) عملت في التجارة وتمكنت قسم من الأراضي الزراعية التي اشترتها من الدولة بموجب قانون تفويض الأراضي الذي طبق عام ١٨٧٢م في الحلة والهندية^(١٧)، فضلاً عن اسر ثرية من الملاكين اليهود منهم (صالح دانيال ولديه مناحيم وساسون) وآخرون من مناطق العراق المختلفة^(١٨). وقد بلغت بدلات تفويض الأراضي في مقاطعة الخواص التابعة لقضاء الهندية التي نشرتها جريدة الزوراء د (٦١٠) ألف قرش^(١٩). ساعد وجود قناة الهندية على النقل المائي مع مدن العراق الاخرى وكثر النشاط الاقتصادي وتوفر الحد الأعلى من قابلية الوصول الى مركزها وأطرافها، وحقت المواصلات المائية الأداة التركيفية المباشرة في تكثيف السكان وتركزهم فيها، وأصبح القضاء في مطلع القرن العشرين ذا نشاط تجاري كبير يمثل نسبة عالية في العمالة ومركز لجمع محصول الرز (الشلب) من منطقة الهندية والشامية بواسطة السفن ومن ثم خزنه بخانات خاصة بنيت على جانبي القناة، ويعاد كبسه بعد تقشيرها بالآلات البدائية ك(الرحة) ويصدر الى الشمال والجنوب من العراق بواسطة السفن النهرية^(٢٠).

٢- المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في نشأة المدينة.

ساهمت في نشأة مدينة الهندية مجموعة من المتغيرات الطبيعية والبشرية وعملت تلك العوامل منفردة او متفاعلة في نشأة المدينة وديمومتها الى الان . وكان للعوامل الجغرافية الاثر الواضح في تلك النشأة ، ويمكن اجمال تلك العوامل بالاتي :

أ/الموقع

تقع مدينة الهندية في النقطة التي يتقاطع فيها خط الطول ٤٥, ٤٢ درجة شرقاً مع دائرة العرض ٣٣, ٣٢ درجة شمالاً^(٢١)، وهي ذات موقع نهري وسط الطريق الذي يربط بين مدينتي الحلة وكربلاء وتبعد عن الأولى ٢٠ كيلومتر وعن الثانية ٢٤ كيلومتر، وتقع الى الجنوب الغربي من مدينة بغداد بمسافة ١١٠ كم، وهي بذلك تقع في اقليم الفرات الاوسط الخصب . اكتسبت المنطقة أهميتها التاريخية المعاصرة بعد جريان الماء في قناة الهندية عام ١٨٠٠م، التي أدت الى اجتذاب عدد كبير من العشائر الى منطقتها وشجعت على تطور الأواصر الدينية وممارسة عقائدها وتقوية الصلات الاجتماعية بين سكانها ومحيطها العشائري، كما أعطت القناة تغييرات بيئية كبيرة للمناطق المارة المياه فيها، إذ سحبت القسم الأعظم من مياه نهر الفرات مغيرة مجراه ومخلّة بالتوازن المائي التقليدي بين فرات الحلة والهندية، إذ جفت منطقة الحلة تدريجياً وفقدت موقعها كمركز زراعي وتجاري، وعلى النقيض من ذلك اتسعت أراضي الإرواء على امتداد قناة الهندية^(٢٢)، والتي عززت المدينة بهجرات سكانية عالية اثرت على كثافة السكان في المدينة بحكم قربها من مدينة كربلاء، والذي كان نتيجة غير مقصودة للسياسة العثمانية في توطين العشائر وفقاً لقانون تفويض الأراضي، فضلاً عن إعطاء القناة دفعة قوية للموقع الاقتصادي لمدينتي كربلاء والنجف وسوق تجاري متميز في الإنتاج الزراعي. عززت الحكومة العثمانية مكانة المدينة السياسية والعسكرية في عهد الوالي العثماني محمد نجيب باشا (١٨٤٢-١٨٤٨م) عندما شيد على أرضها في منطقة (الطنبي) قلعتين: الأولى اتخذها مقراً للكتخدا وحاميته باعتبارها قريبة من مدينتي كربلاء والحلة، لتوفر له سرعة السيطرة وفرض الطاعة عند العصيان والتمرد، فضلاً عن سهولة الوصول الى المنطقة بواسطة القناة الجديدة، والثانية بنيت لأمير عشيرة زبيد (وادي الشفلح)^(٢٣) المتعهد بجني الميري من إنتاج المحاصيل الزراعية فيها وجمع الضرائب الأخرى. بسبب الفيضانات المستمرة كثرت على محيط المدينة المستنقعات والأهوار التي منحتها القوة والمنعة بعدّها موانع طبيعية يصعب اختراقها، فضلاً عن الاستفادة من الأراضي المجاورة لها في زراعة محصول (الرز) الذي اشتهرت به المنطقة وصيد الأسماك الذي وفر الغذاء لسكان المدينة ومصدر رزقهم مع باقي المناطق المجاورة. وكان للعامل الديني أثراً واضحاً في تعزيز موقع المدينة، إذ وفر النهر طريقاً سهلاً لقوافل الزائرين لمراقد الأئمة الأطهار في كربلاء والنجف، الأمر الذي ساعد على ظهور الوظائف المختلفة فيها كإقامة محطات الراحة والانتظار التي تمثلت بالخانات (الوقف والعقيلة زينب وخان الربع) وتوفير وسائل النقل المائية والعربات التي تجرها الحيوانات، وظهرت معها الوظيفة التجارية التي حققت أرباحاً عالية عند التجار في رحلاتهم الطويلة من الجنوب الى الشمال وبالعكس، وأضحت المدينة بحكم موقعها النهري تؤدي دور المخزن والمتجر من الإنتاج الزراعي (الرز والتمور والتبغ) والصناعات البسيطة من سعف النخيل والفخار وغيرها والذي سهل نقله بين مدن العراق الأخرى بواسطة السفن.

ب/ طبيعة السطح:

تقع المنطقة ضمن السهل الرسوبي الذي تكون من ترسبات قديمة وحديثة من الطمي والرمل الذي يحمله نهر الفرات عند

فيضاناته المستمرة اذ بلغ معدل سمك الترسبات فيها ٦٠ سم كل مائة عام وان هذه الترسبات اضفت على تربتها الخصوبة ، كما ان انخفاض مستوى الارض فيها ساعد على قيام الري السحي سبباً، وارتفعت منطقة الحلة المجاورة لها ما بين (٢٠-٣٤ م) فوق مستوى البحر^(٢٣). ساعدت طبيعة التربة الطينية في المنطقة المحصورة من شمال الهندية وحتى جنوب الكوفة على عملية النحت والنقل والإرساب، فضلاً عن الفيضانات المتكررة التي ساعدتها انحدار الأرض نحو الجنوب البالغ (١٠,٥سم) في الكيلومتر مقارنة بانحدار دجلة البالغ (٦,٩سم) في الكيلومتر على الحفر والإرساب وانحراف الفرات باتجاه الغرب^(٢٤). تمتاز تربتها بانها ذات نسيج خشن كونها ترب كتوف الأنهار، فعدت من أجود أنواع التربة، وموضع الهندية امتاز باستواء أرضه، وأعطت كتوف النهر السد الطبيعي الذي يقيها من الفيضانات وعامل تحدي لنمو المدينة الحضاري حتى إنشاء سدة الهندية عام ١٩١٣م، وان انبساط ارض المدينة وانخفاض مستواها جعل المياه الجوفية قريبة من السطح يسود المنطقة المناخ الصحراوي الذي يتصف بالتطرف الشديد في درجات الحرارة خلال فصل الصيف الطويل والذي انعكس على الزراعة وأنماط العمارة اذ اخذ الناس الخصائص المناخية بنظر الاعتبار والمتمثلة بقلعة الامطار واتجاه الرياح والتباين الكبير في درجات الحرارة) وأثرها على أنماط السكن والشوارع والأسواق في جعلها متقاربة لتوفير اكبر قدر ممكن من الظل والحماية من الغزوات أو الاعتداءات الخارجية.

ج/تغير مجرى نهر الفرات

كان نهر الفرات يجري قديماً الى الشرق من منطقة الهندية شرق بابل، وغير النهر مجراه كثيراً خلال الفترات التاريخية القديمة، من شمال المدينة وحتى جنوب الكوفة بسبب انحدار الارض ورخاوة التربة التي سهلت عملية النحت والإرساب، واستقر مجرى النهر بالجريان باتجاه شرق بابل في العهد البابلي القديم ألفي سنة وكانت الحلة تقع حينها غربها، وذكرت المصادر ان قناة (مارسارس) تفرعت من الضفة اليمنى لنهر الفرات باتجاه الجنوب وتمتد في (فولكيسيا وبورسيا) وسقت المستوطنات في موقع الهندية الحالي ويمكن مشاهدة بقايا القناة على بعد أحد عشر كيلومتر غرب مدينة المسيب، إذ أن نصفها الشمالي مطمور حالياً ونصفها الجنوبي استمر فيه جريان المياه من نهر الفرات بواسطة قناة الهندية الحالية^(٢٥). تحول نهر الفرات الى مجراه الحالي المار بمدينة الهندية في عهد الإسكندر المقدوني (٣٣١-٣٢٣ ق م) وسمي باسم (بالاكوباس) عند الكتاب الكلاسيكيين، وباسم الفلوجة في المراجع العربية والذي اعتقه المهندس وليام ويلكوكس انه نهر جيحون الوارد ذكره في سفر التكوين^(٢٦)، فعمل الإسكندر المقدوني على إكمال حفره بانتخاب ارض قوية والتحكم به في موقع صدر الهندية الحالي والذي كان فمه من السعة والعمق بحيث يسمح بمرور المياه إليه من الفرات وقت الصيود، وقام ببناء السدود عليه لضبط مياهه، وهدف الإسكندر من مشروعه هذا تحقيق ما يريده في مخيلته في جعل بابل عاصمة لإمبراطوريته وتأمين وصول المياه إليها والاستفادة منها في تخفيف الضغط المائي على نهر فرات الحلة. أصبح نهر (بالاكوباس) فرعاً موازياً لنهر فرات الحلة في الغرب، وعاد بعد مدة نهر فرات الحلة ليكون النهر الرئيس للفرات في نهاية حكم الإسكندر عندما طمر وأصبح يؤدي وظيفة المصرف لمياه الفرات الزائدة في موسم الفيضان، فكثر الأهوار والمستنقعات مثل (الايح وفريجة وجباس والهندية والبوسوف والعوينة وغيرها)، وكان يطلق عليه في العهد الاسلامي نهر الكوفة. فشلت مشاريع العثمانيين في إيصال مياه الفرات الى مدينتي الكوفة والنجف في عهد السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م) بتوجيه والي بغداد علي باشا على تنظيم وكري القناة التي تصل المياه الى الكوفة^(٢٧)، كما طمرت القناة التي شقها الشاه (عباس الأول) عند احتلال الصفويين للعراق عام ١٦٢٣م بذات الهدف من نهر الفرات الى النجف^(٢٨) ثم غمرت القناة بالطيني والرمال التي حفرها الوالي العثماني إبراهيم باشا (١٦٨١-١٦٨٣م) بعد انجازها، لارتفاع الأراضي الرملية التي تجري فيها المياه باتجاه النجف^(٢٩). وفي عهد المماليك العثمانيين أعيدت الحياة لنهر (بالاكوباس) بموافقتهم لمنظمة (أوده) الهندية في عهد (أصف الدولة) على حفره بمساهمة مالية قدرها ٥٠٠ ألف روبية من قبل وزير أوده الأول (حسن رضا خان) في تسعينيات القرن الثامن عشر الميلادي لإيصال الماء إلى النجف، بالاستفادة من منخفضات النهر القديم، حيث تدفقت المياه فيه بصورة طبيعية في مطلع القرن التاسع عشر، محدثة تغيرات مائية وبنيوية كبيرة في المنطقة التي يجري فيها، وبذلك أصبحت القناة تستنزف القسم الأعظم من مياه نهر فرات الحلة مغيرة مجراه نحوها منذ عام ١٨٦٠م بطول ٧٣ ميلاً قبل أن يصل (بحر النجف)^(٣٠) مارة وسط المدينة التي اتخذت تسميتها منه نسبة إلى منفذي المشروع من الهنود. وقد وجدنا أن تسمية المدينة المحلي (طويريج) جاء من لفظ الكلمتين الانكليزيتين (TWO WAY) على مدينة الهندية بمعنى ملتقى الطريقين، بعد منح العثمانيين الشركات البريطانية (لنج) وإخوانه بعد عام ١٨٦٠م تأليف شركة نقل نهريّة وكثرة رسو السفن على جانبي مركزها في النهر.

د/ نمو الإنتاج الزراعي

واجهت الحكومة العثمانية مصاعب كثيرة في إدارة المنطقة بعد استقرار قناة الهندية لتكون المجرى الرئيس للفرات، والذي تسبب بجفاف المياه في نهر فرات الحلة، ومؤثراً على كثافة التركيز السكاني المستقر على جانبي النهر، والتي باتت تعيش على ما تحصل عليه من المياه المتجمعة في منخفضات مجراه واضطروا للهجرة إلى أماكن أخرى من العراق وبخاصة إلى الهندية. امتنعت العشائر المهاجرة الى مناطق الهندية حرفة الزراعة معتمدين طريقة السقي سبياً لمحاصيلهم، كون أرضها صالحة لزراعة الرز بنوعيه (النثر) الذي يتميز بناتج ثمره قليل وزراعته محدودة المساحة، و(الشتل) المعروف بقلع خصل من الزرع المنثور وتشتل في محل زراعي آخر وبغاية أفضل ومتميزة، ويكون ناتج ثمره خمسة أضعاف النوع الأول، ورز الهندية أعلى وأجود أنواع الرز في العراق ويزرع حصرياً في الهندية والشامية^(٣١). ومن المحاصيل الأخرى التبغ (التبناك) Nicotiana glauca، الذي انحصرت زراعته في منطقة (الجدول الغربي) لملائمة مناخها وتربتها على نمو هذا النبات، وبمساحة ١٥٠٠ دونم كانت غلة الدونم الواحد يتراوح بين (٢٥٠-٣٠٠ كلغم)^(٣٢) والتي أفادت منه الدولة العثمانية عام ١٨٨٤م بعقد امتياز لاحتكار شراء ومعالجة وبيع التبغ المنتج على أراضيها لشركة فرنسية نمساوية عرفت باختصاراً بـ (الريجي) Regie Cointeressee des tabacs ottomans، ومقرها في استانبول عام ١٨٨٦م ببدل سنوي مقداره (٧٥٠) ليرة عثمانية وبامتياز لمدة ٣٠ سنة ولها فروع في ولايات العراق تسمى بـ (نظارة الريجي)^(٣٣) وكان مأمور ريجي الهندية ومحاسبه وموظفوه تابعون الى مديرية سنجق كربلاء. أسهمت سياسة تفويض الأراضي على زيادة حجم الإنتاج الزراعي في المنطقة الذي زاد بدوره من الخزينة العثمانية من أموال الضرائب على المحاصيل الزراعية المنتجة والمصدرة، فقد بلغ إنتاج منطقة الخواص من الشعير للمدة ١٨٧٨-١٨٨٢م بـ (١٢١٢٨٠) حقه وإنتاج الشلب لنفس المدة بـ (٨٤٩٧٤٨)^(٣٤) حقه، فضلاً عن الإنتاج في المناطق المتناثر من الأراضي الزراعية في المدينة ، وصاحبها حصول الحكومة على واردات ضريبية عالية على الإنتاج الزراعي الكلي في منطقة

الهندية التي حددتها جريدة الزوراء في عام ١٩٠٩م لثلاثة أشهر ب(٥٩٠٥٦٥) قرشاً، وفي عام ١٩١٠م ب(٢١٩٢١٣) قرشاً، وفي عام ١٩١١م لشهر آذار بلغت (٤٢٥٩٩) قرشاً^(٣٥). ازدهرت المنطقة بزراعة فسائل النخيل في بداية القرن العشرين بعد تثبيت سندات الطابو، واشتهرت بأنواع التمور من (الزهدي والخستاي) وغيرها، إذ أصبحت البساتين عامرة في أغلب مناطق الهندية وعلى جانبي النهر، ثم على جداوله في بداية الحكم الوطني عام ١٩٢١م، وعدت المنطقة اكبر منتج للتمر بعد مدينة البصرة، يصدر أغلبه الى سوريا والأردن ودول الخليج العربي، وهناك محاصيل زراعية أخرى (الحنطة والشعير) خصصت زراعتها لسد حاجة السوق المحلي أو الاكتفاء الذاتي منها لهم ولحيواناتهم، فضلاً عن زراعة الخضار والفواكه التي تعد مزروعات صغيرة في بعض البساتين القريبة من مصدر المياه^(٣٦). ساعد نمو الإنتاج الزراعي على جذب السكان الى المنطقة من مزارعين وتجار ومستثمرين، والذي انعكس ايجابياً على التطور العمراني والتخطيطي فيها، كما استقر في المدينة المثقفون وأصحاب المصانع البسيطة (تقشير الرز وطحن الحبوب) والأثرياء من اليهود، فاصبحت مركزاً "تجارياً" في الفرات الأوسط، فانتشرت الأبنية التجارية (الأسواق، الدكاكين، مخازن الحبوب وخانات تقشير الرز وغيرها) والإدارية (السراي وملحقاته ودوائر الحكومة الأخرى).

٥/العلاقات الإقليمية للمدينة

ساعد وقوع المدينة على نهر الفرات على سهولة اتصالها مع مدن العراق الاخرى، حيث برز بها النقل المائي خاصة وإنها محاطة بالأهوار والمستنقعات التي تغذيها الفيضانات، ولاستفادة الحكومة العثمانية من النقل النهري وافقت عام ١٨٣٤م على طلب الحكومة البريطانية بتسيير باخرتين بانتظام في نهر الفرات والتي اشترط ان يكون (المشروع نافعاً للفريقين ولا محذور منه)^(٣٧). حققت تلك البواخر وما أضيف إليها من بواخر آخر نجاحاً ملحوظاً على عتائر منطقة الهندية من حيث سرعة الاتصالات والنقل والملاحة النهرية عبر نهر الهندية عام ١٨٥٥م وما بعدها عندما دب الخراب في نهر فرات الحلة، وأصبحت البواخر واسطة لنقل الفواكه والخضر والزائرين على جانبي المدينة ومع المدن المجاورة (كربلاء، المسيب، الحلة، والنجف). تميزت المدينة بكثرة مخازنها في حفظ الرز والتمور، ومتاجر السلع والبضائع وأسواق لبيع وشراء الحصران والبوارى التي تجلب من مناطق أهوار الجنوب، وتحددت اختصاصات دكاكين الحرفيين في الأسواق، وظهر التخصص التجاري في النشاط الاقتصادي، إذ بان عليها ذلك في نهاية القرن التاسع عشر، وأصبحت الظهير الاقتصادي لمدينتي كربلاء والنجف الأشرف الصحراويتين وميناء يزخر بكثرة السفن التي تصل بعضها الى السد الترابي في كربلاء (السليمانية)^(٣٨) الذي يبعد عشر كيلومترات شرق كربلاء والى خان الربع على أطراف الصحراء لاتصال الأهوار والمستنقعات بنهر الفرات وقت الفيضانات. اختلفت المدينة في أنماط الحياة الحضرية فيها بين البدوية والريفية في صلة القرابة إلا أن أكثر أسر المدينة لا تمت بصلة القرابة فيما بينها سوى القرب المكاني، الأمر الذي عزز بينهم الزيارات واللقاءات المستمرة في مناسبات اجتماعية كثيرة منها الدينية (الأعياد والزيارات الخاصة لمراقد الأئمة) ومنها الأسرية (الزواج والختان والولادة والوفاة) مما شد في ترابطها الاجتماعي وفيما بين أفرادها وبين المدن المجاورة التي تغلغل سكانها بينهم بعلاقات الزواج والمصاهرة، لاسيما وان المنطقة اعتنقت المذهب الشيعي الأممي، فنشأ الاحترام والتقدير الكبيرين للسادة العلويين فيها، حيث سعى شيخ عشيرة بني حسن (أستار) من تزويج ابنتيه للسيد هادي مرزة القز وبني في مركز المدينة، ومحمد إبراهيم بحر العلوم خارج المدينة بعد أن أكرمه الشيخ ارض زراعية واسعة بين مدينتي كربلاء والهندية^(٣٩). اشتهرت المدينة بإقامة الشعائر الحسينية ومنها ما يطلق عليه (ركضه طويريج) التي تقام ليلة التاسع من شهر محرم في التقويم الهجري في ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي، واختلفت الروايات حول فكرة تأسيسها، ويبدو أنها نظمت من قبل أعيان وسادات المدينة، ثم انتقلت مراسيمها إلى مدينة كربلاء حيث تقام ظهر يوم العاشر من محرم، ويشارك فيها جمع غفير من الزائرين من مختلف مدن العراق ولا تزال تؤدي في الوقت الحاضر^(٤٠)، انطلاقاً من جانب المدينة الكبير المحاذي للجسر. تحتضن ارض المدينة مقابر للأئمة وأبنائهم ولبعض الشخصيات الدينية (مراقد بنات الحسن ابن علي ابن أبي طالب وأحفاد علي بن موسى الرضا السيد محمد بن عبد الله بن العباس بن علي ابن أبي طالب)، إذ يؤمها الزائرون من مختلف مدن العراق في أوقات معلومة طلباً للثواب الأمر الذي أثر في نموها العمراني وفي شهرتها لتكون اقرب الى المدن السياحية الدينية لاسيما وأنها على طريق حلة كربلاء.

توجد في نطاق المدينة صناعة طابوق (الكورة) الذي دخل في بناء أغلب الأبنية الحكومية، كما نقل الكثير منه لبناء سدة الهندية عام ١٩١١م والى مدينة كربلاء ومنطقة الخواص وأبي غرق (شرق المدينة) وغيرها. استخدم سكان المدينة سعف النخيل في صناعة (الكراسي والأقفاص والشبابيك المحشاة بالعاقول والشريحة وغيرها) ومن الخوص صنع (الخصاف لأكياس التمر والسوابل والسلال والحيال والمراوح اليدوية والكواشر والمكانس والزناويل وغيرها) التي أغرقت أسواق المدن المجاورة، كما كثرت فيها المعامل التقليدية لصناعة الدبس من التمور وتخصصت عوائل معروفة في تصديره إلى خارج المدينة، فضلاً عن الصناعات التي يحتاجها الفلاح ك(المحراث والمنجل والمسحاة والسلاسل واللجام والسكين والسيف والخنجر) وصناعة (الجاون والرحى والمذرات) من لدن النجارين و(القذور والأواني والأباريق والكتلي والمسحنة النحاسية) من لدن الصافرين، هي الأخرى صدرت بعضها إلى المدن المجاورة، وبرزت صناعة وسائل النقل المائية (الجليكة والكعد المهيلة والبلم) من الخشب من قبل أشهر النجارين والحدادين والقيارين (جلاليف) والتي حظيت بطلب متميز عليها في مدن الجنوب والأهوار وأطلق على تسميتها (الطويرجاوية).

المبحث الثالث: المراحل التاريخية لتطور المدينة^(٤١)

أ/المرحلة الأولى: تمتد من ١٨١٧-١٨٤٢م

من الصعوبة تحديد التطور السياسي للمدينة في تاريخ محدد بيوم أو أكثر، ولكن تطور مع التغيير المورفولوجي الذي قد يستهلك جيلاً أو أكثر. سكنت مجاميع متفرقة من الأسر في جانبها الشرقي، اقتصر عملهم على صيد الأسماك والزراعة في مساحات محدودة صغيرة لكون المنطقة مغمورة بمياه الفيضانات، ومنهم من عمل على تقديم الخدمات لزائري المراقد المقدسة في مدينة كربلاء من توفير السكن أو نقلهم بواسطة السفن البدائية الى سد السليمانية الترابي، واستقر على محيط القناة الغربي عدة أسر من عشيرة (بني طرف) التي تضررت سياسياً في منطقة الحويزة الحدودية مع إيران، عندما نفذت بنود معاهدة ارض روم الثانية عام ١٨٤٧م، واسر أخرى جاءت الى المنطقة من عتائر منطقة (الحسكة) في الديوانية لجفاف أو قلة المياه في نهرها، وكانت النواة لجذب ما تبقى من عتائرها عندما استقرت قناة الهندية في مجراها الجديد^(٤٢). وصفت المنطقة في عهد الوالي سليمان باشا القليل (١٨٠٨-١٨١٠م) انها تخلو من التجمعات السكنية الكثيفة وتتميز بزراعة الرز^(٤٣).

ظهر التجمع السكاني فيها على هيئة قرية صغيرة تبعت لواء الحلة إدارياً، واستقر في منطقة الطنبي شرق القناة، وكانت قرية غير متجانسة تضم جماعات مختلفة اجتماعياً، خليط من البدو والمزارعين والمتحضرين لا يتجاوز عدد مساكنها البسيطة الثلاثين تتكون في معظمها من الخيام، ومحاطة بظهير من حقول الرز، الذي جعلها فيما بعد سوقاً لتجارته. سادت أنماط الريف على مجتمعها كالسكن في أكواخ عملت من جذوع النخيل وسقفت بالسعف والبواري وبعضها استخدم الطين (اللين) في البناء وسقف من أغصان الأشجار والقصب والبردي، كما امتهنت بعض الأسر تربية الحيوانات الأليفة (الأغنام والأبقار والجاموس) القاطنة قرب الأهوار والمستنقعات. انعدمت في هذه المرحلة طرق المواصلات البرية على محيطها باستثناء الطريق الترابي الشرقي الواصل لمدينة الحلة، وكثرت على طريق القناة الغربي والشمالي في منطقة الهندية البرك والمستنقعات، وفي محيطها شرقي القناة الجنوبي (بحيرة الهندية) لذلك ساد النقل المائي هناك حيث ساعد على سرعة نموها الاقتصادي ثم العمراني، فضلاً عن زيادة مساحة المنطقة السكنية تباعاً بعد دفن المنخفضات والبرك المائية الملاصقة للقناة على محيطها الشمالي والجنوبي. لم يظهر على القرية نماذج أو أشكال مادية متميزة في المظهر الحضاري من المخطط المعماري ونظام الشوارع واستعمالات الأرض الحضرية، لعدم اهتمام الحكومة بها ولتعرضها للفيضانات المستمرة وانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة التي أدت إلى موت أعداد كثيرة من سكانها.

ب/ المرحلة الثانية (١٨٤٣-١٨٩٠م)

كانت أغلب الموروثات المعمارية في هذه المرحلة أبنية عامة لوظائف إدارية وعسكرية ودينية وتجارية، برز فيها واضحاً نمط الحياة الحضرية أكثر من مرحلة النشأة بعد التكوين، واستخدم في بناء بعض الوحدات مواد بناء جديدة تتصف بالثبات وفي تشكيل نماذج معمارية جديدة كالطابوق والجص. بناه الوالي العثماني محمد نجيب باشا بعد قمعه انتفاضة كربلاء عام ١٨٤٣م، لسلطة الحكومة قلعين في مركز الهندية: الأولى من الطابوق والطين وجعلها مقراً للجيش وقيادته في منطقة (الطنبي)، والثانية لأمير زيد الشيوخ (وادي الشفلح) تحيطها خيام لمعاونته وجنده في استحصال الميري^(٤٥)، هدمت الأولى عام ١٨٤٩م في انتفاضة شيخ عشائر الجراح (غضب سلمان العجة)^(٤٦) في عهد الوالي العثماني عبد الكريم نادر باشا (١٨٤٨-١٨٥٠م) والتي لم نعرف شيئاً عن عمرانها وهندستها، كما هدمت القلاع التي بنتها الدولة لاحقاً في عهد الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكلي (١٨٥١-١٨٥٦م) المشيدة خارج حدود المدينة^(٤٧). تطورت المدينة مورفولوجياً في عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) وما بعده من حيث الوحدات المعمارية وطرز المساكن وأنظمة الشوارع، وأصبحت القرية قضاءً من المرتبة الأولى في عام ١٨٧٠م^(٤٨).

زادت مساحات الأرض اليابسة في الجانب الغربي من القناة، إذ دفتها الأسر النازحة إليها بعد إزالة القصب والبردي عنها، وأطلق عليها لاحقاً (قصة طويريج) و قدر عدد المساكن فيها بخمس وستين بيتاً بنيت من الطابوق والطين وبعمارة بسيطة، وعجل الوالي مدحت باشا على توطين العشائر على محيطها عندما طبق قانون الأراضي العثماني في منطقة الهندية مؤخراً لضمان حيابة الأرض بمنحهم صكوك تملك (سندات طابو) عن قطع الأراضي الخاضعة لإدارة الدولة، وتشجيعه على بيع مساحات كبيرة من أراضي الدولة إلى عامة الناس من الأثرياء واليهود^(٤٩). لا توجد إحصائية دقيقة لعدد المستفيدين من قانون التملك في المدينة ومساحتها لإحجام الأفراد عن تسجيل حقوقهم رسمياً خوفاً من مصادرتها في حالة عجزهم عن دفع الضرائب أو الخشية من سوقهم إلى الخدمة العسكرية عند تسجيل الأرض باسمهم، لذلك اختاروا تسجيلها إلى شيوخهم أو جباة ضرائب سابقين أو تجار من المدن مقابل تمتعهم بحقوق الاستزراع وحصة المحصول^(٥٠). شيد في المدينة عام ١٨٧٥م سراي الحكومة، يبعد سبعين متراً غرب القناة، وقد أרך بناءه الشاعر الشيخ محسن الخضيرى بأبيات من الشعر مدح فيها المتصرف والقائم مقام آنذاك (عبد الرحمن بيك) قائلاً^(٥١).

وبنفسي قصرها السامي فقد
لم يكن قصرها فأرخ: إنما
جل أن يشبهه قصر مشيد
هو صرح من قوارير ممرد^(٥٢)

بني السراي على مساحة تقديراً (٨٠٠م) من الطابوق والجص وبطابقين وسقف بالخشب والبواري، وضم أكثر من عشرين غرفة، وكان مدخل السراي مقابل القناة وعلى جانبي المدخل وضع السجن، وعلى أعلى الباب الخارجية لوحة من الكاشي الكر بلاني كتب عليها (العدل أساس الملك) وفي غرب السراي انشأ ستة غرف بذات المواصفات استخدمت ملاحق خدمية للموظفين والحرس والعمال، وأضيف إليه بناء حديث من الطابوق والاسمنت والحديد بعد الاحتلال البريطاني، وفي شمال السراي أبنية الحظائر وإسطبل الحيوانات (الخيول والبغال) التي يستخدمها الجيش العثماني والجنדרمة في النقل وحفظ الأمن والنظام، وأزيل الاثنين من قبل البلدية عام ١٩٧١م. نظمت الشوارع داخل المدينة وتميزت باستقامتها وسعتها التي حددتها الدولة بالمشيد عليها، إذ كان للبلدية دور في تخطيطها، إذ أن شارع الكورنيش تميز باستقامته وبطول ٦٠٠ م، يقطعه شمالاً طريق كربلاء ونظم شارعان موازيان للكورنيش جنوب المدينة، في حين لم تستطع البلدية السيطرة على المتجاوزين في تنظيم شوارعها، فبقيت إلى الآن على انحناءاتها وتعرجاتها البعيدة عن المركز. شجعت الديانة الإسلامية الحياة الحضرية والاستقرار البشري والتآلف بين الناس التي تمثلت في بناء المساجد الجامعة، إذ بني الكثير منها في المجتمع الحضري، فضلاً عن ما تتطلبه المدينة من متطلبات وخدمات ذات صلة بالوظيفة الدينية تؤدي إلى ازدياد حجمها وازدهارها الحضاري من (الجوامع والحسينيات والكنائس لطائفة اليهود)، فقد شيدت الحكومة العثمانية جامع الهندية في محلة الكص عام ١٨٨٥م من مادة الطابوق والجص بعمارة بسيطة على مساحة (٢٤٠٠م) وسقفت قاعة الصلاة بالخشب والحصران، ويحتوي على مئذنة قاعدتها سداسية الشكل طول ضلعها متراً وارتفاعها ثلاثين متراً اسقط قسماً منها بنيران القوات البريطانية في ثورة العشرين، وظهرت فيها إبداعات العمارة الإسلامية من الزخارف والمقرنصات وتزيينها بالقاشان الكر بلاني. وفي عام ١٨٨٦م بنيت الحكومة العثمانية حماماً خاصاً بجاليته وموظفيها وقواتها المسلحة (الجنדרمة والشرطة) مقابل الجسر الخشبي القائم غرب القناة في نفس المحلة، ضم ست ابوانات على شكل أطواق سقفت بالطابوق والجص، وتشرف على الفناء المسقف قبة قطرها ثلاثة عشر متراً في مركزها (منور) من الزجاج لتأمين الإنارة الطبيعية، ووسط الفناء حوض للماء مقرنص تتوسطه نافورة، وفي شرق الفناء مدخل الاستحمام صفت أرضيته بالطابوق الفرشي والقيصر ويحوي على خزان للماء الساخن (خزينة)، وتميز الحمام بوجود عدة دهاليز أسفل بناء الاستحمام لمرور التيارات الهوائية الحارة لغرض تسخين أرضية الحمام، وقد أزيل الحمام في نهاية السبعينيات من القرن الماضي. بقيت بيوت الفقراء على حالها من أكواخ الطين أو السعف وجذوع النخيل، وفي ثمانينيات القرن التاسع عشر ساهمت سياسة تفويض أراضي الهندية بنظام الطابو على بيع مساحات كثيرة من الأراضي التابعة للدولة في حدود المدينة بأسعار زهيدة ولآجال طويلة، الأمر الذي شجع العوائل الثرية من السادة القزوينيين والملالي والجنابيين

والبو صواف ورؤساء العشائر واليهود وبعضاً من الموظفين الحكوميين على البناء والسكن وفقاً لتصاميم تماشك الوحدات البنائية متأثرة بعامل المناخ، بان عليها التلاصق بهدف الحماية من أشعة الشمس وحرارتها، فتميزت جدران أبنيتها بسمكها الكبير، واستخدم في بناءها الطابوق المحروق بالشمس (اللين) أو الطابوق المحروق بالنار (الكورة) وكانت بيوت الأثرياء واليهود تحتوي على أبواب وشبابيك خشبية بسيطة لتوفير الضياء داخل الغرف والتي انعدمت في مساكن الفقراء، وفي بعض البيوت توجد مساحة أسفل البناء تسمى (سرداب) في أعلاها فتحة تتصل بدھليز إلى السطح كي تجلب الهواء من الأعلى إلى الأسفل، تسمى الملاقف (البادگیر)، وخلت تلك البيوت من الزخارف والتنميط المعماريين المعقدين في هذه المرحلة. بلغت مساحة المدينة المشيدة حوالي (٢٣٨ دونم)^(٥٣) والجدول التالي يوضح عدد نفوسها مع العشائر التابعة لإدارتها حسب الإحصائيات التي نشرتها السالنامات العثمانية في وقتها عن نفوس قضاء الهندية^(٥٤).

السنة	عدد السكان
١٨٩١	٣٢٢٤ نسمة
١٨٩٣	٤١٦٢ نسمة
١٨٩٤	٨٦١٤ نسمة
١٨٩٧	٤٤٠٣ نسمة
١٨٩٨	٤٥١٢ نسمة
١٩٠٠	٧٤٠٥ نسمة

ترتبط مدينة الهندية بطريق بري غير معبد مع مدينتي الحلة وكربلاء، ويستغرق المسير فيه مع حيواناتهم ثلاث ساعات، وإلى كربلاء أربع ساعات^(٥٥)، وكان الطريق الأول من الأهمية فاستخدمته السلطات العثمانية في توجيه حملاتها ضد عشائر الهندية عندما تمتنع عن دفع الميري أو تقاوم السلطة، فضلاً عن استخدام قناة الهندية بنقل جنودها بواسطة السفن إلى المنطقة. ازدهرت عمليات النقل المائي في نهر الهندية بين مدينة البصرة ومدن أعالي الفرات بواسطة السفن الشراعية الصغيرة والكبيرة التي تراوحت حمولة بعضها ب(٤٠-٥٠) طناً^(٥٦)، كما استخدمت القوارب والكعود في النقل بين مناطق المدينة القريبة منها وأربافها، وازدهرت عملية صيد الأسماك وتجارها في المدينة، وفي داخل المدينة وخارجها استخدمت حيوانات الحمل (الإبل، الحمير والخيول) في نقل البضائع والسلع والمنتجات الزراعية والحيوانية^(٥٧)، وتولى المقاولون نقل المسافرين وحمولاتهم بواسطة عربات خشبية تسحبها عدد من الخيول التي أسهمت بتذليل صعوبات السفر والنقل إلى المدن المجاورة. وبلغت بعض الرسوم الكمركية التي حصلت عليها الحكومة العثمانية عام ١٣٠٤ هـ/١٨٨٦ م، من منطقة الهندية، مقدارها مؤشر بالقرش والبارة حسبما يلي^(٥٨).

١- الاحتساب(*) : ١٠٨٠٢٠ قرش و ٢٠ بارة.

٢- الطمغا: ٥٢٢٠ قرش و ١٠ بارة.

٣- الطالبية: ٦٥٢٠ قرش و ٢٠ بارة.

وتؤثر تلك الموارد على ازدهار تجارة المدينة ونشاط أسواقها التجارية وصناعاتها البسيطة من خلال المبالغ الضريبية العالية على السلع والمواد الزراعية التي صدرتها المدينة إلى مناطق العراق المختلفة.

المرحلة الثالثة: ١٨٩١-١٩٣٣ م

زادت أهمية المدينة التجارية في تسعينيات القرن التاسع عندما أقدمت الحكومة العثمانية على نقل مقر لواء الحلة إلى الديوانية عام ١٨٩٢ م، لتدهور الإنتاج الزراعي هناك بسبب استقرار مجرى الفرات الرئيسي من نهر الحلة إلى نهر الهندية، الأمر الذي قلّت فيه كميات المياه الكافية للسقي الزراعي، والتي لم تنفع سدة (شوندرفر)^(٥٩) فيما بعد على حل مشكلة توزيع المياه بين نهري فرات الحلة والهندية في السنوات اللاحقة، وساعد استقرار العشائر وهجوتها في منطقة الهندية على الأمن والنظام نتيجة السياسة الرشيدة التي اتبعتها الحكومة العثمانية في المنطقة بتطبيق نظام الطابو وتنظيم الحصة المائية على الأرض الزراعية، فضلاً عن التزام العشائر في تسديد الضرائب والميري الذي أفاد الحكومة مالياً، حيث زار المدينة الوالي سري باشا عام ١٨٩٠ م وحل فيها الوالي أبو بكر حازم بيك عام ١٩٠٧ م عندما تضرر سد (شوندرفر) من جراء الفيضان الشديد، كما زارها الوالي جمال بيك عام ١٩١٢ م للإشراف على كادرها الإداري والزراعي^(٦٠).

تلك الأسباب وغيرها ساعدت على النمو التجاري في المدينة وظهور الحوانيت والمخازن والأسواق، وزادت خلال السنين اللاحقة لتوسع العلاقات التجارية بين المدينة ومحيطها العشائري الزراعي والذي ضم نسبة عالية من القوى العاملة وزيادة في مساحة المنطقة المعمورة، فأصبح الشارع الغربي الموازي للنهر (الكورنيش) يتصف بأعلى كثافة للاستعمال التجاري، إذ ازدحمت فيه أبنية الخانات فبلغ عددها اثني عشرة متجراً ودكاكين المهن الحرة المتخصصة، قدر عددها بأكثر من خمس وعشرين

دكانا، مستفيدة من النهر في نقل بضائعهم ووفرة المنتجات الزراعية منهم واليه، كما جاور تلك المحلات التجارية شارعين موازيين تحولت إلى سوقين (سوق الهندود) و(السوق الكبير) تخصصت بعضها في التجارة وخاصة بتجارة المفرد المتخصصة، وسقف السوقين في أربعينيات القرن العشرين بالحديد والخشب. كثر السكن في مركز المدينة وزاد عدد المساكن التي تجاوزت المائة وكذلك الدوائر الحكومية، وبقي طراز بناءها على سابقه، ومن مظاهر هذه الزيادة إنشاء المجلس البلدي وبناء البلدية على شارع الكورنيش المطل على النهر وبعض الأبنية البسيطة (دائرتا البريد والمحكمة ودار للقائم مقام والحاكم) في مطلع القرن العشرين، حافظت أبنيتها على نمط العمارة وطرازها السابق في التقليد المعماري الذي فرضته البيئة الاجتماعية والمناخ السائد. بني حمامين متلاصقين في جنوب محلة الكص بذات المواصفات التي نفذت في الحمام السابق، أحدهما للرجال والآخر للنساء، أزيلا في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين وشيد في عام ١٩١٤م مسجد مستطيل الشكل في مدخل السوق الكبير بني من الطابوق والجص وسقف بالخشب والحصار، خالي من المئذنة، وشيد مسجد آخر في محلة سيد حسين بذات المواصفات بعد خمس سنوات، وتحولت إحدى المساكن الكبيرة في محلة الكص إلى مدرسة ابتدائية في نهاية العشرينيات من القرن العشرين، وبُنيت قبالة المدرسة ستة دور حكومية بسيطة عام ١٩٢٩م وفق طراز معماري جديد لإسكان موظفي الدولة، يحتوي كل دار في الوسط على فناء مفتوح وزاد في هذه الدور عدد الشبائيك التي كانت تصنع من الخشب، وتشرف على الفناء خمس غرف، وفيه حمام ومرافق صحية، مبني من الطابوق والجص ومسقفة بالخشب والبواري، وفي شمال الدور شيدت مستشفى على نفس مواصفات الأبنية الحكومية (الطراز الشرقي) تتكون من مساحة مستطيلة (٣٢٠٠م) بنيت من الطابوق والجص وسقفت بالخشب والبواري، تضم غرف للأطباء والمرضين والمرضات ومخزن، وهي خالية من الأسرة لرقود المرضى، وعلى جانب المستشفى الشرقي بنيت صيدلية وغرفة للتضميد، وعزلت غرفة أخرى في جنوب المستشفى استخدمت (للتشريح) في تشخيص أسباب الوفاة. شيد المحسنون من أهل المدينة خانين (وقف) متلاصقين لإيواء الفقراء والمتسولين وسكن الزائرين القادمين لزيارة مرقد الأئمة (عليه السلام) في كربلاء، على ضفة النهر الغربية جنوب المدينة، تعد عمارتهما من السمات الرئيسية في المدينة، أبعاد الأول حوالي (٦٠م × ٦٠م) تقع بوابته الرئيسية على كورنيش النهر مستقطعة من الإيوان الأوسط للأواوين السبع في الجهة الشرقية، وتعلو البوابة تلاقي أربع دعائم من الطابوق عملت عليها القبة، وتتوزع الأواوين الأخرى على جميع جهات الخان، فالشمالية والجنوبية تضم كل واحدة ثمانية أواوين وعلى تسعة في الغرب مساحاتها متساوية وبارتفاع حوالي ستة أمتار وبعمق سبعة أمتار، كل إيوان مسقف بخمسة عقود مدببة وبزخرفة حصرية، وفي سقفها فتحة (ملاقف هوائية) بطول متر وعرض عشرة سنتيمترات صممت لإدخال الهواء من الأعلى، وعلا الإيوان روابط أعمدة الأخشاب التي عملت لتقوية البناء فيها، وجميع الأواوين مفتوحة على الفناء الداخلي بأقواس مدببة، أغلقت بعضها حديثا لاستغلالها كخزف للخرن ومرافق أخرى، وفي الخان نص تذكاري عمل بالقاشان الكربلائي كتب عليه تاريخ تجديد الخان في عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م وجاء في بيت شعر لأحد الشعراء تحدد فيه تاريخ ترميمه عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

شاد الحسين بن الخليل منزلا
لزائري خامس أصحاب العبا

واليوم لما جددوا بنائه أرخته مأوى يكن للغربا

والخان الآخر كان تصميمه مشابها للخان السابق وبمساحة أقل منه، يحتوي على خمسة أواوين في جهتي الشمال والجنوب، فيه مصلى قياساته بحدود (١٠ × ٦م) ويضم خمسة دعائم ضخمة، مبنية الواحدة عن الأخرى بحوالي خمسة أمتار، وسقف المصلى بعشرة قباب عملت على تحويل الدعائم في كل أربع منها تستند قبة، وعلا الخان طابق ثان في الجهة الغربية، تقع فيه ستة غرف متلاصقة ومتساوية الأبعاد طول ضلع الغرفة أربعة أمتار مسقفة بالخشب القديم والحصار المعمولة من سعف النخيل والقصب، استغلت لمبيت الزائرين، وبني في الزاوية المطلية على النهر مرافق صحية وحمام بسيطتين. بقيت مساكن الفقراء في محلات (الداينية ومحرم عيشة والطبني والكص) على حالها من الأكواخ والصراف، في حين بنا الأثرياء من التجار واليهود مساكنهم من الطابوق والجص بعمارة حديثة مستفيدة من مساحات الأرض الخالية من البناء في بداية الحكم الملكي، بعضها يشبه في تصميمه البيوت التقليدية والبعض الآخر دخلت عليه فنون جميلة في وجود الشناشيل (المشربيات) وهي شبائيك الطابق الأول الخشبية المنزلة والمنظمة بالامتداد نحو الزقاق، والتي تباين امتدادها فوق الأزقة من ناحية أحجامها ودرجة زخرفتها، وعلى الشبائيك وضع الزجاج المظلل بألوان جذابة للتقليل من حرارة أشعة الشمس ولتأمين الخصوصية. لقد ادخل العثمانيون تلك العمارة إلى العراق في سني حكمهم الأخيرة، والتي يبني بموجبها الطابق الأرضي من مادة الطابوق ثم يحتل الخشب مكانه في الطابق العلوي بحيث يبلغ الارتفاع الإجمالي حوالي (٤-٨م) فوق مستوى الدار (الحوش)، وقد راع المعماري وضع غرف ووحدات البيت الأخرى بما يتفق وحركة الشمس الظاهرية، كما وفرت الشبائيك الخشبية الداخلية مع الخارجية المرتفعة الكفاية من الإضاءة والتهوية الطبيعيتين، وأطرت باب البيت الخارجي بقوس ذي نقوش من الطابوق، وبعضها وضع على أعلى الباب الزخارف والكتابات القرآنية، ولا تخلو تلك البيوت من (السرداب) والمرافق الصحية (مراحيض وحمامات) في الطابق الأرضي^(١١). زادت مساحة مركز مدينة الهندية في هذه المرحلة وأصبحت (٦٣٥) دونم بسبب التطور العمراني في إشغال بعض الأراضي الزراعية القريبة من المدينة في السكن، كما زاد عدد السكان من الولادات والمهاجرين إليها، وبلغ عدد نفوس القضاء بعد انجاز سدة الهندية بـ (٤٠٠٠)^(١٢) نسمة، لقد فصلت إدارة المدينة عن متصرفية كربلاء وألحقت بلواء الحلة عام ١٩١٨م في ظل الاحتلال البريطاني للعراق، كما تبعت مدينة كربلاء إدارياً لقضاء الهندية عام ١٩١٩م خلال أحداث التي سبقت ثورة العشرين، والذي أعطى اهتماما خاصا لها من لدن الحكومات المتعاقبة في الإدارة والاقتصاد، وظهر ذلك واضحا في نمو المدينة المعماري والاقتصادي. وعلى الرغم من تأثر المحاصيل الزراعية بالكوارث الطبيعية أحيانا، فإن منطقة الهندية قد حققت واردات ضريبة جيدة في بعض السنوات التي نشرتها جريدة الزوراء، تدل على التطور النسبي في زراعة المحاصيل الزراعية على الرغم من تراجعها في بغض السنوات والتي ساعد في ازدهارها الهدوء والاستقرار الأمني العشائري وانتظام توزيع الحصة المائية وسيطرة الحكومة عليها حيث بلغت مجموع الضرائب الزراعية في المنطقة بـ (٥٩٠٥٦٥) قرشا عام ١٩٠٩م وكانت في عام ١٩١٠م (٢١٩٢١٣) قرشا، وفي عام ١٩١١م بلغت (٤٢٥٩٩) قرشا^(١٣). بقيت شوارع وأزقة المدينة على حالها غير معبدة وعلى استقامتها واتساعها، في حين لم نجد مثلها في القرى والنواحي، وكان النقل المائي هو الرائج في المنطقة وما جاورها مع وجود العربات الخشبية التي تجرها الخيول أو الحمير في طرقها البرية، ودخلت وسائل النقل الميكانيكية مع الاحتلال البريطاني للعراق، حيث امتلك بعض الأثرياء السيارة أو السفينة الصغيرة، وساهم حفر جدولين على يمين النهر (بني حسن) وعلى يساره (الجورجية) الموازيان لنهر فرات الهندية عام ١٩٢٠

بطول ٦٧ كم في توسيع النقل المائي وتغذية الأراضي الزراعية المارين بها، وبغية تأمين سلامة المدينة ودرء دخول مياه الفيضانات المستمرة إليها عملت البلدية على إحاطة المدينة بسدود ترابية (روفة)، أزيلت في ستينيات القرن العشرين مع التل الترابي (النيشان) جنوب المدينة مقابل مرقد الجليل أبي هاشم. أنجز الاحتلال البريطاني مقر حكومي له في مركز الهندية في منطقة الطنبي على غرار الطراز الغربي وذا شرفة عالية مظلة على النهر، لازال قائما في الوقت الحاضر، وأقيم على نفس الطراز بيت لقائم مقام الهندية. استأجرت الحكومة بعض الأبنية الكبيرة لدوام المدارس فيها مطلع الحكم الملكي والذي انعدم وجودها في الأرياف والنواحي، وقدم أثرياء المدينة العون والمساعدة لإدارتها وطلابها، وبقيت مدارس الكتاتيب الأهلية ماثلة في المدينة حتى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين.

المرحلة الرابعة: ١٩٣٣-١٩٥٨م

حافظت المدينة على موروثها الحضاري من حيث طراز البناء والنمو التجاري، وقل التوسع العمراني فيها خلال هذه الفترة مقارنة بما حصل في بعض مدن العراق، وسبب ذلك دخول المنطقة بنشاطات سياسية نتيجة انتماء مثقفها للأحزاب السرية والعننية وبروز قادة سياسيين وعسكريين فيها، الأمر الذي عرض المنطقة للمساءلة والمراقبة وحجب عنها الكثير من التخصيصات المالية أو لم يعر لها الاهتمام بهذا الجانب، فسارت التطورات العمرانية والتجارية فيها ببطء حتى الخمسينيات من القرن العشرين، وخلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) انحسر النشاط المعماري وساد المدينة الكساد وأثرت نتائجها على الزراعة والتجارة، وأفسحت الحكومة المجال لبريطانيا في ترويج بضائعها المنافسة للبضائع العراقية في الجودة ورخص الثمن. نفذت الحكومة في هذه المرحلة عدة مشاريع خدمية بسيطة، ففي نهاية الأربعينات باشرت في بناء أربعة أبنية مدرسية، اثنتان منها ابتدائية للبنين وأخرى للبنات وثانوية بطابقين للبنين، بناتهم بسيط تتكون كل مدرسة من خمسة عشر صفا مع ملحق الإدارة والمرافق الصحية، ووسطها ساحة تطل عليها الصفوف المربعة الشكل طول ضلعها ٣٥م، وفي مدرستي البنين وضعت ساحتين أمامية وجانبية لإقامة الفعاليات الفنية والرياضية ولتجمع الطلاب اليومي، في حين شيد في الثانوية ملحق قاعة كبيرة استغلت مسرح لإقامة الحفلات والمسرحيات. وفي عام ١٩٤٥م بنت الحكومة نادي ترفيهي لموظفيها غرب النهر مقابل السراي، ذات بناء بسيط يحتوي على غرفتين وقاعة صغيرة تشرف على النهر لاستراحة الموظفين الحكوميين، أزيل بنائه في الخمسينيات بعد ان شيد بدله نادي كبير في شمال المدينة لازال قائما في الوقت الحاضر بنا بعض أثرياء المدينة دار للعرض السينمائي الصيفي عام ١٩٥١م غرب المدينة على طريق كربلاء بمساحة (٥٠٠م) فيها مكنة توليد الطاقة الكهربائية، استقطبت غالبية سكان المدينة باعتبارها متنفسا لقضاء أوقات الفراغ ليلا، أزيل بناءها في مطلع السبعينيات، وحرمت المدينة من ذلك المتنفس الثقافي والفني لحد الآن.

حدث تطور نسبي في خدمات المدينة، فقد انتشر استعمال الكهرباء في معظم المدينة في منتصف الثلاثينيات بجلب مولدة كبيرة بقوة ١٠ فولت، بعد أن كانت الإضاءة الليلية فيها تعتمد على (الفوانيس واللمبات النفطية)، فضلا عن بناء محطة لتحليه وتصفية المياه على النهر مباشرة في نهاية الأربعينيات، بعد أن كان ينقل (السقاءون) الماء من النهر مباشرة إلى البيوت والمحلات التي تحتاجه، ودخل للمدينة بدالة بعدة خطوط وزعت هوائها على الدوائر الحكومية ومسؤوليها وبعض الأثرياء، كانت بنايتها بسيطة من الطابوق والجص ومسقفة بالحديد وتحتوي على غرفتين وساحة صغيرة تقع على شارع كربلاء وسط المدينة. شيدت الحكومة سراي حكومي جديد بمساحة ألفي متر عند مدخل شارع كربلاء مقابل الجسر الجديد في نهاية الأربعينيات، يضم القائممقامية ومركز الشرطة والأمن، من طابق واحد بني بالطابق والإسمنت والجص وسقف بالحديد (الشيلمان) والطابق (عقادة)، واستعمل القار في عمل السقوف حماية من المطر، وهو ذو طراز شرقي في وسطه فناء واسع تشرف عليه غرف الموظفين والسجن، تكثر فيه الشبايك والأبواب الحديدية بعد أن كانت خشبية في السابق، وقد هدم وأعيد بناءه حديثا في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣. نشأ المواطن (حسن علي) محطة للوقود في شمال المدينة على النهر مباشرة عام ١٩٤٧م، واستخدم السفن التي يملكها في جلب مشتقات النفط (البنزين والنفط) من مستودع سدة الهندية، واستولت الحكومة عليها في عام ١٩٦٩م وجعلت إدارتها حكومية، حيث نقلت مكانها إلى مدخل المدينة الشرقي التي لا تزال ماثلة إلى الآن. وفي الخمسينيات أزيلت جميع الأبنية الحكومية والأهلية على الشاطئ الغربي لنهر الهندية لتصدعها وتهديد وجودها بالسقوط من جراء وصول المياه إليها، وعبدت أرضية السوقين والشارع الموازي لطريق كربلاء مع فروعه المتصلة بطريق كربلاء بالطابق المكسو بالقر، في حين بقي الطريقين المرتبطين بكربلاء والحلة غير معبدين حتى عام ١٩٥٧م، حيث خصصت لهما الحكومة مبلغا لتعبيدهما واكتملا عام ١٩٥٩م، كما بنيت بلدية الهندية في مكانها الحالي غرب المدينة نهاية الخمسينيات وفق التصميم الغربي الحديث في البناء المتكون من طابق واحد باستخدام الطابوق والإسمنت وسقفت بالإسمنت المسلح. وكثرة حوادث الغرق التي حصلت لمن يقدم إلى المدينة عند عبور جسر الخشبي، فضلا عن توسع المدينة العمراني والاهتمام الحكومي التجاري بها فقد شيد جسر كونكريتي عائم على نهرها بطول ١٧٣,٧ مترا وعرض ١٤ مترا وبلغت تكاليف إنشائه (٣٥١,٢٩٩) دينار، يتكون الجسر من عشرة ركائز كونكريتية ضخمة مزدوجة تبعد الواحدة عن الأخرى ١٥ مترا، ولتسهيل مرور السفن ذات الحمولة الكبيرة، خلا وسطه من الركائز لمسافة ٣٠ مترا يعلوها قوسان متوازيان من الحديد الصلب لحمل الفناء بواسطة تسعة أعمدة حديدية (شيلمان) شددت بين كل قوس والفناء، ربط القوسين ببعضهما من الأعلى بشكل هندسي يشبه شعار العلم البريطاني يرمز إلى شركة (دورمان لونج) البريطانية التي باشرت العمل في ١٧ آذار ١٩٥٤م، وأنجزته في تشرين الثاني ١٩٥٥م^(١٤)، لا زال الجسر قائما إلى الآن يربط جهتي المدينة بشارع مع مدينتي الحلة وكربلاء لحد الآن. كثرت خانات شراء التمور وحفظها للتصدير، حيث بلغ مقدار الإنتاج في أفضل الحالات (٦٠-٧٠) ألف طن سنوياً، معظمه يصدر إلى خارج العراق، كما أنشأت عدة مصانع أهلية بسيطة لإنتاج الدبس بنوعيه (العادي والكربة) الذي راجت تجارته مع المدن العراقية لجودة إنتاجه المعروفة بـ (الدبس الطويرجاوي)، كما كثرت مخازن حفظ الرز (تمن الهندية) ومصانع تقشيريه التي تصدر بكميات كبيرة إلى مدن العراق وخارجه من دول الجوار (سوريا والمملكة العربية السعودية والكويت وإمارات الخليج العربي). زادت الرقعة الجغرافية للأراضي الزراعية التابعة لمركز القضاء بعد ان جفت بعض من أراضي المستنقعات والأهوار، ونمت زراعتها بفسائل النخيل وبلغت مساحة الأرض الصالحة للزراعة بحدود (١٠٩,٧٦٥) ألف دونم، وغير الصالحة للزراعة منها (٣٨,٢٩٨) ألف دونم، والأرض البيضاء (٧٥,٣٣٤) ألف دونم، ومساحة البساتين (٣٤,٤٣١) ألف

دونم، ومساحة النفع العام (٥١٧٦) ألف دونم من مشاتل وبساتين حكومية ودوائر ومدارس وبيوت حكومية^(٦٥). دخلت سيارات الحمل جنباً إلى جنب في النقل مع العربات الخشبية والحيوانات وكثر الحمالون من طبقة الفقراء لكسب قوتهم اليومي في نقل البضائع أو العمل في خانات التمور، في الوقت الذي توقفت فيه الوظيفة المعمارية وقل البناء بسبب توقف الهجرة إلى المدينة وبقاء سكانها على حالهم المعاشي المتردي، واستقرار سكان الأرياف في مناطقهم الزراعية، بسبب التطورات السياسية وتأثر العراق بالأزمة الاقتصادية خلال ما بعد الحرب العالمية الثانية. أضيف لشوارع المدينة نمطا جديدا من الشوارع التي خصصت للنقل الميكانيكي سواء العربات أو السيارات التي اتصفت باستقامتها واتساعها عند نمو المدينة نحو الأطراف الخارجية، وغالبا ما أقيمت أبنية بسيطة على هذه الشوارع، حيث ظهرت بعض التخصصات الوظيفية على امتداد تلك الشوارع مؤخراً، وكان التطور المورفولوجي في نهاية الخمسينيات محدودة ورافقه حركة داخلية في إعادة توزيع استعمالات الأرض السكنية من قبل الأغنياء والمتنفذين، التي تسودها ظاهرة الخلط الاجتماعي للتوزيع السكني في وجود أبسط البيوت إلى جانب أكبر البيوت وأكثرها زخرفة، وبقيت بيوت الفقراء على حالها في استخدام سعف وجذوع النخيل والطين و التي كثيرا ما تتعرض للحرائق المدمرة التي شهدتها المدينة مرارا.

ارتفع عدد نفوس المدينة وعشائرها خلال هذه المرحلة بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة إليها من باقي مدن العراق، والجدول التالي يبين الإحصاء الرسمي الحكومي المسجل عام ١٩٤٧م وعام ١٩٥٧م، والأعداد تشمل الجميع (ذكوراً وإناثاً وأجانب) باستثناء من هم أقل من عمر عشرة سنوات^(٦٦).

سكان مركز وقضاء الهندية والمناطق التابعة لها عام ١٩٤٧

المنطقة	عدد السكان	عدد الاجانب	الجنس
مركز قضاء الهندية	١١٠١٤	٦٣	ذكور واناث
ابي غرق	١٩٩٢٨	—	ذكور واناث
الكفل	٢٢٠٢٥	٣١	ذكور واناث
الجدول الغربي	٢٩٣٨٩	١١	ذكور واناث
مجموع النفوس	٨٢٣٥٦	١٠٥	ذكور واناث

تسجيل نفوس قضاء الهندية عام ١٩٥٧م

المنطقة	عدد السكان	الجنس
مركز قضاء الهندية	١٤١٣٦	ذكور واناث
الكفل	٨١٨٦	ذكور واناث
الجدول الغربي	١٦٢٩٠	ذكور واناث
مجموع النفوس	٣٨٦١٢	ذكور واناث

الخاتمة

تصنف مدينة الهندية بأنها من مدن الأنهار حيث ساعدت الحركات الجيولوجية (التكتونية) في التغير التدريجي لمستوى الأراضي وما نجم عنه من تغيرات في انحدارها ومجرى نهر الفرات نحو الغرب، الذي هيا الاستيطان فيها بمساحة صغيرة تحيطها المساحات المائية الواسعة، وأسهم العامل الاقتصادي على ظهور مستوطنات زراعية على محيطها عند انحسار الماء عنها، فضلا

عن التقاء طرق المواصلات المائية نحو أطرافها، والوصول إليها قد هيا للمدينة نمو سكاني سريع والإفادة من فائض الإنتاج الزراعي، حيث يفرغ سكانها في أعمال مدينتهم التي نتج عنها تقسيم العمل والتوسع في مسانها وطرق مواصلاتها البرية والمائية وأضفى العامل الديني قوة اقتصادية لها في توسطها بين مدينتي النجف وكربلاء. وحصلت عمليات التغيرات الاجتماعية فيها بواسطة الهجرات الأسرية وانتقال بعض أهل الريف إليها محقة للمدينة التغير التدريجي في أنماط الحياة الحضرية، من حيث الأدوار ونمط المعيشة وطرز البناء وأنواع التنظيم شاركهم فيها سكانها من حيث المعاني والقيم والأفكار الخاصة بهم. ساعد اتساع مساحة المدينة على زيادة حجمها وكثافة سكانها عبر السنين، الذي نتج عنه زيادة حاجة السكان إلى الخدمات التي وفرت بعضها الجهات الحكومية وبضائع استوردها تجار المدينة من خلال إقامة الأسواق التجارية وتشجيع القطاع الخاص على العمل، وجعلت الجهات الحكومية فيما بعد على وضع الخطط الكفيلة بتوفير حاجيات سكان المدينة وخدمات الدولة لهم. تتحدر التجمعات السكانية في المدينة من خلفيات متباينة اجتماعيا في العلاقات الشكلية والمنفعة المتبادلة، فيشعر الفرد فيها انه ضائع بانتمائه العشائري أو السياسي في جمع كبير، الأمر الذي ظهر التركيز على (التنشئة الاجتماعية) في تمسك الأب في حصر مهنته في أبنائه (تنقل المهنة أقبيا) قد أضفت على الأعمال أو الصناعات عامل الدقة والجودة والتخصص وحفاظ المدينة على الإرث في الأعمال الحرة والفنية التي بان على تراثها الأصالة والإبداع في عالم المهنة ازدهرت المدينة عبر التاريخ في نهاية الحكم العثماني الذي أعطاها دفعا واضحا في عملية التطور الحضاري منذ عهد الوالي مدحت باشا بإصداره نظام (الطابو)، وسعت الحكومة إلى إنشاء سدا على نهرها عام ١٩١٣م، نظم مواردها المائية، الذي شجع المجتمع الحضري على الاستقرار الذي أصبح نهر فرات الهندية يشكل حلقة وصل بين أهل البادية وسكان المدينة وقراها، وانسجمت حاجات الناس مع الوظيفة الدينية التي حققت انجازات كبيرة في بناء مراكز العبادة، وشجعت الأثرياء على التفتن في البناء الذي عكس الواقع التراثي الإسلامي والعربي عليها والصناعات اليدوية البسطة فيما وأضاف الاحتلال البريطاني إليها الكثير من وسائل الاتصالات والصناعات والنقل الميكانيكي في حين جاءت واضحة مظاهر الحضارة وتطورها التي تخصصت المدينة ببعضها في العهد الملكي من تنظيم البناء وإقامة التجمعات السكانية و الخدمات التعليمية والصحية لتصبح بمصافي المدن العراقية الأخرى ذات النشأة.

المصادر والهوامش

١. إبراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، الجزء الأول، مطبعة شفيق، بغداد، د. ت، ص ٣٤.
٢. تقي الدباغ، العراق في عصور ما قبل التاريخ، كتاب التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد- ١٩٨٣م، ص ٣٢.
٣. احمد سوسة، تطور الري في العراق، مطبعة المعارف، بغداد- ١٩٤٦م، ص ٣٧.
٤. أوده (Aoudh) مقاطعة في أواسط شمال الهند، تبعت لسلطة دلهي عام ١٥٦٢م ثم للإمبراطورية المغولية عام ١٧٢٤م واستقلت عند تتويج الملك غازي الدين حيدر في مملكة (أوده) في الهند عام ١٨٩٩م، وهي دولة مسلمة شيعية قدم ملوكها الأموال الكثيرة لإقامة الشائعات الدينية ومساعدة رجال الدين الشيعية في العراق وطلبة العلم وبناء المساجد. للمزيد من المعلومات ينظر: علي البهالي، النجف جامعتها ودورها القيادي، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٠١.
٥. كتبت بالثناء الطويلة وتم احتسابها د (١٢٠٨هـ/١٧٩٣م).
٦. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية جعفر الخياط، مطبعة الأديب البغدادية، ط٦، بغداد، ١٩٨٥م، ص ١٤.
٧. لجان، رحلة لجان إلى العراق ١٨٦٦م، ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الثالث، ١٩٨٣/١٤٠٢م، ص ٧٤.
٨. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، الجزء الأول قسم النجف، دار التعارف، بغداد، ١٩٦٥م، ص. ص ١٦-١٥.
٩. جريدة الزوراء العراقية، العدد ١٤٤٧ في ١٢ صفر ١٣٢٨هـ.
١٠. المواقع الأثرية في العراق، وزارة الإعلام، مديرية الآثار العامة، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٠م.
١١. عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ١١٣.
١٢. أصل الكلمة من الأطناب: الطوال من حبال الأخبية، مايشيد به البيت من الحبال بين الأرض والطرائق. والطنب احد إطناب الخيمة، وفي هذه المنطقة نصبت الخيام لشيخ وادي الشفلح المعين من قبل الوالي لجني أموال الضرائب.
١٣. ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٧٤.
- * مناطق هور الحوزة في جنوب شرق العراق والأراضي الحدودية مع إيران.
١٤. حمود الساعدي، بحوث عن العراق وعشائره، مطبعة دار الأنس، النجف الأشرف، ١٩٩٠م، ص ٥٧.
١٥. علي الورد، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، دار الراشد، ط٢، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٨.
١٦. ج. لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، الجزء الثالث، ترجمة مكتب دولة قطر، الدوحة، ١٩٧٧م، ص ١٢٦٧.
١٧. جريدة الزوراء العراقية، العدد ٢٧٦ في ٢٣ جمادي الآخرة ١٢٨٩هـ.
١٨. حديث الأستاذ كريم كاظم العوران مع الباحث.
١٩. جريدة الزوراء العراقية، العدد ٢٧٨ في ١٢ رجب ١٢٨٩هـ.
٢٠. صادق صالح العاني، الأطلس العام، مطبعة الرصافي، بغداد، ٢٠٠١م، ص ٢٣.
٢١. اسحق نقاش، شيعية العراق، المكتبة الحيدرية أمير، قم- ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٤٤.
٢٢. عهد إليه التزام أراضي شيوخ عشائر منطقة الهندية حتى عام ١٨٥١م، وصلت سلطته إلى إصدار أحكام الإعدام على الأشخاص وقطع الأيدي وجدع الأنوف، انظر: وادي العطية، تاريخ الديوانية قديما وحديثا، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٤م، ص. ص ٣٩-٤٢.
- * ضريبة تؤخذ على ناتج الأرض الزراعية.
٢٣. عبد الإله كربل، جغرافية العراق، محاضرات أقيمت على طلبة المرحلة الثالثة لقسم الجغرافية في كلية تربية بابل للعام الدراسي ٢٠٠٥-٢٠٠٦م، ص ١٧.
٢٤. تقي الدباغ، المصدر السابق، ص ٢٨.
٢٥. احمد سوسة، وادي الرافدين ومشروع سدة الهندية، بغداد- ١٩٤٥م، ص ٢٠٣.
٢٦. المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، نقله إلى العربية جعفر الخياط، مطبعة دار الكتب، ط٢، بيروت، ١٩٧١م، ص ٢٤١.
٢٧. اسحق نقاش، المصدر السابق، ص ٣٠.
٢٨. يوسف كركوش الحلي، تاريخ الحلة، الجزء الأول، النجف، ١٩٦٥م، ص ١١٩.
٢٩. اسحق نقاش، المصدر السابق، ص ٣١.
٣٠. المصدر نفسه، ص. ص ٤٣-٤٤.
٣١. عبد الجبار فارس، عامان في الفرات الأوسط، مطبعة التراث، النجف الأشرف، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، ص ٣٩.
٣٢. المصدر نفسه، ص ٢١.
٣٣. الهيئة العامة لزراعة وتحسين التبوغ في اربيل، دراسة زراعة التبوغ العراقية وأفاق تطورها، شباط- ١٩٨١م؛ المؤتمر الزراعي الحادي عشر لمحافظة كربلاء، المنعقد للفترة ١٩٨٥/١٢/٢٥-٢٣م.
٣٤. جريدة الزوراء العراقية، العدد ٨٣ في جمادي الآخرة ١٢٩٦هـ؛ والعدد ١٠٧٢ في ٢٦ صفر ١٣٠٠هـ.
٣٥. جريدة الزوراء العراقية، الأعداد ٢٢٨٦-٢٣١٠ من ٢٢ ذي الحجة ١٣٢٨هـ إلى ١٢ جمادي الآخرة ١٣٢٩هـ.
٣٦. عبد الجبار فارس، المصدر السابق، ص. ص ٤٠-٤١.
٣٧. يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، الجزء الثالث، جمع وتصنيف وفهرسة: معن حمدان علي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١م، ص. ص ٣١٢-٣١٣.
٣٨. ثله تربية أقامها السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) في القسم الشرقي من كربلاء بطول عدة كيلومترات تتصل بالهضبة الغربية، لحماية مدينة كربلاء من الغرق عند فيضان نهر فرات الهندية.
٣٩. محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، رجال السيد بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجالية، الجزء الأول، النجف، ١٩٦٦م، ص. ص ١٥٧-١٥٨.
٤٠. للمزيد من المعلومات ينظر: صادق آل طعمة وجاسم آل گلگاني، فاجعة عزاء طويريج، كراس صدر في كربلاء عام ١٩٦٦م.
٤١. استخدم الباحث المراحل التاريخية وفقا لسنوات توليه الولاة العثمانيين وحكم الملوك بعدهم في العراق.
٤٢. ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٧٤.
٤٣. المصدر نفسه، ص ٢٧٨.
٤٤. المورفولوجي morphology: تعني علم التشكيل في بنية الأشكال الحياتية والمادية والتركيب الداخلي للمدينة بما فيها من نظام الشوارع وأشكال الأبنية وقطع الأراضي

- والاستعمالات التي تعلقها أو تستقر على جزء منها، للمزيد من المعلومات انظر: صبري فارس الهيتي وصالح فليح حسن، جغرافية المدن، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٩٥.
٤٥. حمود الساعدي، مصدر سابق، ص ٦٦.
٤٦. Rawlinson to canning: June٦, ١٨٤٩ (No,١٩) Precis of Turk, Arabia, P. ١٣١.
٤٧. حمود الساعدي، المصدر السابق، ص ٦٧.
٤٨. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين، الجزء السابع، مطبعة بغداد، بغداد ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م، ص ١٩٤.
٤٩. المصدر نفسه، ص ٢٤٨-٢٤٩.
٥٠. اسحق نقاش، المصدر السابق، ص ٤٦-٤٧.
٥١. مقتبس عن حمود الساعدي، المصدر السابق، ص ٥٨.
٥٢. ظهرت علاماته الحسابية عام ١٢٨٢هـ/١٨٧٥م.
٥٣. مديرية زراعة الهندية، شعبة الزراعة والاحصاء.
٥٤. سالنامات بغداد للمدة ١٣٠٩-١٣١٩ هـ / ١٨٩١-١٩٠١م، دفعة ٨- ١٧.
٥٥. جريتنا الرقيب البغدادية، العدد ١٣٢ في ٢٥ جمادي الآخرة ١٣٢٨ هـ؛ و العدد ٥٩ في ١٣ شوال ١٣٢٧ هـ.
٥٦. جعفر الخليلي، المصدر السابق، ص ١٥-١٦.
٥٧. عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة، مطبعة المعارف، بغداد-١٩٦٠م، ص ١٩.
٥٨. جريتنا الزوراء عدد ١٢٥١ في ٩ ربيع الآخرة ١٣٠٣ هـ؛ وعدد ١٢٩٩ في ١٠ جمادي الاول ١٣٠٤ هـ.
- *تظم عدة رسوم كالفقائية أو الوزن والدلالية واحمال الدواب والارضية وثمان الحاجات المباعة وضريبة الباج المأخوذة على البضائع البدوية ومنتجات حيواناتهم، وتدخل الطمغا ضمن الاحتساب الذي يؤخذ على البضائع القطنية والصوفية المصنعة محليا وعلى الاواني النحاسية والمعمولات الفضية والذهبية، ورسوم الطالبية تأخذها البلدية على غير ذلك وضمن رسوم الاحتساب، للمزيد من المعلومات ينظر: جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-٢٠٠١م، ص ص ٢٤٤-٢٣٧؛ عباس العزاوي، الجزء الثامن، مصدر سابق، ص ٢٠٣.
٥٩. سدة انشأت على نهر الفرات قرب مدينة المسيب بإشراف المهندس الفرنسي مسيو شوندرفر عام ١٨٩١م لتنظيم المياه بين نهر الحلة وقناة الهندية للمزيد من المعلومات ينظر: عباس العزاوي، الجزء الثامن، مصدر سابق، ص ١٠٤.
٦٠. صباح محمود محمد، دراسات في التراث الجغرافي العربي، المركز العربي للطباعة، بيروت-١٩٨١م، ص ١٨٥؛ عباس العزاوي، الجزء الثامن، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ جريدة الزوراء عدد ٢٣٢٩ في ٢٩ شوال ١٣٢٩ هـ.
٦١. خالص الاشعب، المدينة العربية، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ص ص ٢٩-٣٢.
٦٢. ج.ج لوريير، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص ٢٤٥١.
٦٣. جريدة الزوراء، الاعداد ٢٢٨٦-٢٣١٠ من المدة ٢٢ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ، الى ١٢ جمادي الآخرة ١٣٢٩ هـ.
٦٤. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء العاشر، مطبعة العرفان، صيدا-١٩٦١م، ص ٢٢.
٦٥. مديرية زراعة الهندية، شعبة الزراعة والاحصاء.
٦٦. الحكومة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، مديرية النفوس العامة، الدليل العام لتسجيل نفوس ١٩٤٧م ونفوس ١٩٥٧م.